(سورة الليل)

{ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ } { وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ }

{ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ }

{ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ } { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ }

{ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ } { فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ }

أقسم بليل ظلمة النفس إذا ستر نور الروح وبنهار نور الروح { إذا تجلى } فظهر من اجتماعهما وجود القلب الذي هو عرش الرحمن فإن القلب يظهر باجتماع هذين له وجه إلى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه إلى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعاني والقادر العظيم القدرة الحكيم الباهر الحكمة الذي { خلق الذكر } الذي هو الروح { والأنثى } التي هي النفس فولد القلب { إن سعيكم لشتى } أشتات مختلفة لانجذاب بعضكم إلى جانب الروح والتوجه إلى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم جانب النفس والانهماك في الشر لغلبة الظلمة وتفصيل ذلك في قوله: { فأما من أعطى واتقى } أي: آثر الترك والتجريد فرفض ما يشغله عن الحق وتكره بالسهولة واتقى عن هيئات النفس فجرّدها عن الميل إلى ما رفض والاتفات نحوه { وصدّق } بالفضيلة { بالحسنى } التي هي مرتبة الكمال بالإيمان العلمي إذ لو لم يتيقن بوجود كمال كامل لم يمكنه الترقي { فسنيسيره لليسرى } أي فسنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى التي هي السلوك في الله لقطع علائقه وقوة يقينه.

{ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ }

{ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ } { فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ }

{ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ }

{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ } { وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَٱلأُولَىٰ }

{ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ }

{ لاَ يَصْلَٰهَآ إِلاَّ ٱلأَشْقَى }

{ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ } { وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلأَتْقَى }

{ ٱلَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ }

{ وأما من بخل واستغنى } آثر محبة المال وجمعه ومنعه واستغنى به عن كسب الفضيلة لاحتجابه به عن الحق { وكذّب بالحسنى } بوجود مرتبة الكمال والفضيلة لاستغنائه بالحياة الدنيا واحتجابه بها عن عالم النور والآخرة { فسنيسره للعسرى } فسنهيئه بالخذلان للطريقة العسرى التي هي الانحطاط عن رتبة الفطرة إلى قعر الطبيعة ودركات أسفل سافلين مأوى الحشرات والديدان والحيلولة بينه وبين شهواته بالحرمان .

{ وما يغني عنه ماله } الذي تعب في تحصيله وأفنى عمره في حظه { إذا تردّى } إذا وقع في قعر بئر جهنم وعمق الهاوية وهلك .

{ إنّ علينا للهدى } بالإرشاد إلينا بنور العقل والحسّ والجمع بين الأدلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار.

{ وإن لنا للآخرة والأولى } أي: نعطيهما من توجه إلينا فلا نحرم التارك المجرّد عن ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة فإن من آثر الأشرف يكون الأخس تحت قدمه بالضرورة كقوله:

{ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم } [المائدة، الآية:٦٦].

{ فأنذرتكم ناراً تلظى } أي: ناراً عظيمة يبلغ لظاها جميع مراتب الوجود وهي النار الكبرى الشاملة للحجاب والقهر والسخط والتعذيب بالآثار، ولهذا قال:

{ لا يصلاها إلا الأشقى } العديم الاستعداد، الخبيث الجوهر، المشرك بالله في المواقف الأربعة { الذي كذّب } بالله لشركه { وتولى } وأعرض عن الدين لعناده { وسيجنبها الأتقى } أي: يتحاماها ويبعد عنها في جميع مراتبها { الذي } اتقى ما عدا الله من ذاته وصفاته وأفعاله وكل شيء من الأغيار والآثار بالاستغراق في عين الجمع وهو الأتقى المطلق الذي لم يقف مع غير الله فيوقف على الله ويعذب ببعض النيران.

وأما التقي فقد لا يجنب جميع مراتبها كالمتجرّد من الهيئات والأفعال، الواقف مع الصفات فإنه وإن كان مغفوراً ذنوبه فقد حرم عن روح الذات ولذة المقرّبين في حجاب وجوده { الذي يؤتي ماله يتزكى } الذي يعطيه في حالة كونه متطهراً عن لوث محبة الأنداد وتعلق الأغيار والالتفات إلى ما سوى الله والاشتغال به مزكياً نفسه عن الشرك الخفي.

{ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ }

{ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلأَعْلَىٰ }

{ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ }

{ وما لأحد عنده من نعمة تجزى } أي: لا يؤتيه للمكافأة والمعارضة

{ إلاّ ابتغاء وجه ربّه } باجتناب ما عداه ولكونه على أعلى مراتب التقوى لأن الله تعالى بحسب كل اسم له وجه يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الأعلى هو الذي له بحسب اسمه الأعلى الشامل لجميع الأسماء وإن جعلته وصفاً لربّه، فالربّ هو ذلك الاسم.

{ ولسوف يرضى } بالوصول إليه في عين الجمع والشهود الذاتي ثم مشاهدة ذلك الوجه في مقام التفصيل حال البقاء بعد الفناء لاستدعاء الرضا وجوده مع الوصف، والله تعالى أعلم.